ما قصة الطفل الذي احتضن (كامرته) ودفن مع أمه؟

السماوة مدينة المقابر الجماعية لأكراد أبرياء ولعرب منتفضين من الجنوب والوسط

السماوة / عدنان سمير دهيرب

لما يزل صدى سؤال تلك السيدة المسنة التي جلبها الجيش ضمن عمليات ما يسمى بالأنفال. من سفوح أحد الجبال بالقرب من العمادية مع عدد من العوائل.. يتردد في العقل والجنان. حيث قالت تلك السيدة: هل ما زال عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية؟!

سؤال يثير الحيرة والعجب والبكاء والانقطاع عن العالم. وقبلها الحزن على امرأة وعوائل لا شأن لهم بالسياسة والحاكم. حدودهم لا تتجاوز ذلك الجبل والمكان الذي يقطنون فيه. بعيداً عن كل الضجيج والنفاق والقتل والحروب. عوائل قلوبها نظيفة وتفكيرها لا يعدو محيطها أو إنهم كالمكان الجميل حيث قمم الجبال التي تتسامق مع السماء والنقاء.

وبجانب تلك المسنة في ذلكم المشهد المأساوي لعوائل تكدست داخل سيارة (الأيفا) التي يملكها الجيش عام ١٩٨٨ كانت امرأة أربعينية العمر تحتضن طفلاً يمسك بقنينة حليب فارغة - شعرها شلالات ضوء شمس يتناثر في الهواء وعيونها التي تشبه لون وحزن البحر ترمق الجنود بأسئلة تثير الخجل.. على رجال وقفوا مدججين بالأسلحة فوق رؤوس نساء وأطفال كاد البؤس والرعب يدمرهم.

اقتادوا هؤلاء بناءً على أوامر من الطاغية لتصفية المقاومة في شمالي العراق بعد وقف إطلاق النار للحرب التي استمرت ثمانية أعوام. غير أن الجيش لم يقبض على المقاومة ولم يقتلها. وكل الذي فعله جلب تلك العوائل البسيطة التي تعيش مع الله وسحر الطبيعة.

اقتادوهم صوب المجهول بل الإعدام والموت في بقاع مختلفة من العراق. وهؤلاء لم يكونوا المجموعة الأولى ضمن مسلسل الرعب والقتل. بل سبقتهم مجاميع وعوائل لا حصر لها جلبت إلى بادية السماوة.

الأرض التي ظلت سنوات طوال تتوجع من شدة الألم وأنين القلوب والأجساد البريئة. تبكي من دون أن تدري إلا من شهود على جرائم ارتكبت تحت جنح الظلام وبين تلال الرمال والأكام.

جرائم ظلت تحكي قصة شعب واستبداد حاكم. وحزن لا يبرح من هول الظلم والقتل والصمت المطبق.

البحث عن الأحبة

وبعد سقوط النظام والقبض على رئيس القتلة.. راحت القلوب التي توشحت بالحزن تسير قبل الأقدام للبحث عن الأحبة التي غيبتها السنين وعاشت في أقبية السجون على أمل اللقاء. ولكنها ظلت مثلما كانت صوراً جميلة وحكايات شباب وصبايا وأطفال حضروا إلى الدنيا كالحلم المدهش لا يتكرر أبداً.

وبقاياهم التي دثرتها الرمال راح الأهالي إليها لتبقى رمزاً وشاهداً على سادية نظام تربع على جماجم شعبه. فهذه السماوة التي تعد الآن مدينة المقابر الجماعية كما يصفها الدكتور محمد إحسان وزير حقوق الإنسان في حكومة كردستان عند زيارته ناحية بصية في البادية - ٣٤٠ كم - جنوب غرب مدينة السماوة قبل أيام وقال: سنقوم بفتح ثلاث مقابر جماعية يعود تاريخها إلى عام ١٩٨٣ بالقرب من ناحية بصية لدفنهم بطريقة لائقة وإعداد قوائم بأسماء الضحايا وتقديم مذكرة للمحكمة الخاصة بمحاكمة أزلام النظام المباد.

وكانت قبل هذه الزيارة ببضعة اسابيع قد جرت زيارة للسيد بختيار أمين وزير حقوق الإنسان السابق إلى قضاء السلمان في البادية حيث تم تشخيص مقابر جماعية تضم رفات (١٥٠٠) مواطن كردي بمسافة ٦كم عن القضاء.

وكانت اطراف مدينة السماوة وباديتها مسرحاً للكشف عن عدد كبير من المقابر الجماعية بعد سقوط النظام المباد حيث تم الكشف عن مقابر وأخرى لم يكشف عنها.

شهداء الانتفاضة الشعبانية

ميثم حميد حسين الخفاجي عضو منظمة حقوق الإنسان في المثنى يذكر أنه بعد عشرين يوماً من سقوط النظام وصلت معلومات عن وجود مقبرة جماعية في البشان المحاذي لحي الحسين وقد وصلت المعلومات من صاحب البستان عندئذ خرجت مجموعة من الشباب وذهبنا إلى المنطقة وأخرجنا ٦٥ جثة معظمهم من قضاء الرميثة وقد عثرنا مع الجثث على هويات وحاجيات كالملابس ومسبحات تعود للضحايا. حيث ذكر لنا الشاهد الوحيد على الجريمة أن الجيش جلب هذه المجموعة بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ في سيارة كبيرة وأعدموا في إحدى الليالي.

وبعد فترة قصيرة وصلت معلومات بشأن مقبرة جماعية بالقرب من الطريق الرئيس المؤدي إلى قضاء الخضر عندها ذهبنا إلى القوات الأمريكية المتواجدة آنذاك في السماوة وكان هناك فريق لتقصي الحقائق (CID) وفي اليوم التالي ذهبنا ونصبنا مخيماً واستخدمت أحدث الأجهزة للكشف عن المقبرة الجماعية. وبدأ الحفر وأخرجنا عشرات الجثث. واجريت عمليات على كيفية القتل وتوصلت النتائج إلى أن هؤلاء قتلوا جميعاً. وكانت أيدي جميع الضحايا موثقة بسلك هاتف إلى الخلف كما كشف الجهاز عن وجود ظروف الأطلاقات مغطاة بالتراب بسبب أن العملية جرت بعد أحداث عام ١٩٩١, ويستذكر أهالي القرية أن هؤلاء الضحايا جلبوا إلى المنطقة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل بواسطة سيارات حمل كبيرة وبدأ إطلاق النار بكثافة عليهم.

ويؤكد شهود العيان أنهم في اليوم التالي ذهبوا إلى ذات المكان ووجدوا الكلاب وقد سحبت ثلاث جثث لتأكلها وكان أحدهم رجلاً تجاوز عمره الـ(٨٠) عاماً وقمنا بدفن الجثث بشكل نظامي.

وأضاف الخفاجي علمنا في اليوم التالي من أحد شيوخ المنطقة أن هناك مقبرة كبيرة لعدد هائل من الضحايا شرقي القرية المقابلة لمحطة تعبئة الوقود في الخضر. حيث استمرت عمليات الرمي والإعدام لمدة عشرين يوماً. حيث تجرى عمليات القتل الجماعي لآلاف الأشخاص غير إننا لم نصل إليها.

ثم وصلت إلينا معلومات بشأن مقبرة خلف مصفى السماوة حيث وجدنا الهياكل العظمية طافحة على الأرض الرملية التي تتحرك مع هبوب الرياح والعواصف.

ومقبرة أخرى بالقرب من (٢٧٠) داراً حيث أخرجنا ٢٠ جثة وعدنا لدفنها بسبب مجهولية هويتهم.

كما حصلنا على معلومات عن مقبرة في منطقة الشيخية ٨٠ كم عن مدينة السماوة باتجاه البادية ووصلنا إليها بعد أن نزلنا من الشارع الرئيس بمسافة (١٠) كم وكانت جميع الهياكل تعود إلى نساء وأطفال كرد بحدود (٢٠٠) جثة وقد تعرفنا على ذلك من خلال الملابس التي عثرنا عليها ووجدنا ملابس نسائية بالزي الكردي داخل أكياس وأرزاق جافة (سكر وشاي ورز) وأواني ويبدو أنهم كانوا معتقلين في سجن القلعة بالسلمان. وأكثر ما شد انتباهنا. وعمق الحزن بدواخلنا، وأثار بكاء جميع الحضور.. هو هيكلان متراصان لطفل وأمه. حيث كان الطفل يمسك (بكاميرا) صغيرة محصورة بينه وبين صدر أمه.

الأرض المقدسة

ولا أدري لماذا حين كان يتحدث محدثي عن تلك المرأة تذكرت تلك السيدة التي تحمل الطفل في العمادية..

هل كانت هي أم إنها كانت جميع النساء اللاتي أعدمن لأنها نموذج للبؤس والظلم والقتل والعذاب؟

ربما تكون هي أو غيرها من النساء اللاتي وصلن من الشمال إلى بادية القتل الجماعي للأكراد.

فهذه الأرض غدت مقدسة بدماء الأبرياء وضحايا القتل المجاني.

فحذار أن تجوس عليها الأقدام. فربما كان هناك جسد مسجى أو طفل ما زال حليب أمه لم يجف من شفاهه.

وحذار أن يلعنكم الرب العظيم وأنتم تذهبون إلى هناك ولا تقرأون سورة الفاتحة على من دفن ظلماً وبهتاناً.

وعود على بدء فإن البادية تضم رفات آخرين ضمن المقابر الجماعية. حيث يقول ميثم حميد: لقد عثرنا في منطقة المهاري شمال شرقي السماوة على مقبرة أخرى أبلغنا عنها أحد الرعاة. ووصلنا إليها بعد أن تركنا الشارع المعبد بمسافة ٣كم. وحين بدأنا الحفر وتكشفت الهياكل العظمية وجدناهم جميعاً من الأكراد ويبدو من ملابسهم التي لم تأكلها التربة بعد أنهم قتلوا ودفنوا في أثناء فصل الشتاء.

ويستذكر الراعي الذي حصل على معلوماته من والده قبل وفاته حيث كان بالقرب من المكان وشاهد وسمع إطلاقات النار وصراخ الضحايا التي تشق عنان السماء.

ويؤكد أن جميع الضحايا الذين قتلوا عام ١٩٨٩ هم من الرجال.

القتل بالرمانات اليدوية

وعندما تحركنا في المنطقة التي كانت أرضها كلسية لا يمحى الأثر منها بسهولة لاحظنا آثار الشفلات وظروف الإطلاقات التي لم يأت إليها أحد من قبل لجمعها بالقرب من تلال صغيرة قريبة من المقبرة الأولى تؤكد وجود مقابر أخرى.

كما عثرنا في ذات المكان على صواعق رمانات يدوية ويبدو أنهم استسهلوا عملية القتل بها والخلاص منهم. بعد أن ملوا عمليات القتل بواسطة البنادق والمسدسات يالهم من مجرمين قتلة ونفوس بلا رحمة.

بين السطور

لو كان الزعيم عضوا في الجمعية الوطنية

الدكتور طالب الجليلي

حين خير الزعيم عبد الكريم قاسم، بين قبول راتب ومخصصات رئيس الوزراء، وبين تسلم راتبه، ضابطاً في الجيش العراقي برتبة زعيم.. أصر على الاستمرار في تسلم الراتب الأخير، مع الفرق الشاسع بين الراتبين. حيث إن راتب ومخصصات رئيس الوزراء، أكثر بكثير من راتبه كضابط!!

لم يكن عبد الكريم قاسم آنذاك، مغالياً أو متظاهراً بالزهد، فقد كان الـ(سفرطاس) الذي تجلبه له أخته إلى وزارة الدفاع، في كل يوم، حاوياً غداءه، شاهداً على زهد الزعيم، وقد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، بأنه لم يأخذ معه حين تمت تصفيته في ٩ شباط على أيدي الجلادين، غير نصف دينار، وجدت في جيب قميصه..

لقد كانت موازينه خفيفة حين استشهد وهو يهتف بحياة الشعب مواجهاً رصاص غدارات بور سعيد!! وقد استغرب مقتحمو وزارة الدفاع، حين وجدوا في أحد أدراج مكتبه في (جناحه الخاص جداً!!) وجدوا قائمة بأسماء عوائل، كان الزعيم يوزع راتبه عليهم في كل شهر،.. علق في حينه أحد الضباط المهاجمين على تلك القائمة، وهو يمسكها مستغرباً: إذاً، لماذا قتلنا هذا الرجل؟؟

تذكرت ذلك وأنا أتابع جلسة جمعيتنا الوطنية العلنية، ليوم الاثنين ٧ حزيران ٢٠٠٣، وهم يناقشون ساعات طوال، عملية دمج المكافآت الممنوحة للسادة الأعضاء، مع رواتبهم الوظيفية أو التقاعدية!

كان ذلك النقاش يدور علنا، وكما عودتنا جمعيتنا الوطنية..، والشعب يرى ويسمع، وكم دهشنا حين جرى التصويت بالموافقة على الدمج من عدمه!.. وكم زادت دهشتنا، وصدمنا، حين ارتفعت الأيدي، بقوة، وسرعة، وبلا تردد.. مؤيدة عملية الدمج! وبالإجماع.

اريد أن اسأل السادة ممثلي الشعب.. هل انتخبكم شعبكم، متحدياً الموت، في انتفاضته البنفسجية، لكي تزيدوا دخلكم؟ أم لكي تمثلوا طموحاته، وتكونوا رقيباً على الحكومة، لكي لا تهدر حقوقه ويعم الخراب؟!

وأسال مرة أخرى ممثلينا في الجمعية الوطنية: ألا تعلمون بأنكم يا سادتي الكرام، ويا سيداتي المصونات، بأنكم أكثر المضحين علناً، وأكثر المؤمنين استهدافاً. وأن انتظار العوائل، ودعاء الأهل، لكم بالعودة من المجلس سالمين؟ لا لسبب، سوى إنكم مضحون، في سبيل خدمة شعبكم.. فهل يعادل ذلك ما أنتم مضحون به، أم أنكم تجهلون ذلك، أم أنكم من الذين (لا يعلمون)، أم (من الضالين!!)، وحاشا لله أن تكونوا..

وعذراً سادتي فما كتبت هذا إلا حرصاً ليس إلا، والله على ما أقول شاهد، وعذراً مرة أخرى إن كنت قد أسرفت.

كم تمنيت أن يكون موقفكم في ذلك اليوم، كموقف الزعيم، لكي يسجل لكم التاريخ ما سجل له، ولكي يكون ذلك، رصيداً لكم في الانتخابات القادمة، لأن الدنيا مواقف وعبر..

والسلام على من اتبع الهدى.. وعلى من (عمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ومن عمل لآخرته كأنه يموت غداً).

ماقصة جهاز (المايكروفلم) في ديوان وزارة التربية؟

بغداد محمد شريف ابو ميسم

الذي يتجول في اروقة مبنى ديوان وزارة التربية، سيشاهد الاجهزة العديدة والمتنوعة التي تم شراؤها للوزارة، وخاصة في قسم التجهيزات.. هذه الاجهزة هي البديل الضروري للاجهزة التي تعرضت للحرق والسلب والنهب.. إلا ان ثمة امراً غريباً يدور حول عدم شراء جهاز المايكروفيلم لحد الآن، فهذا الجهاز على اهميته التي تكمن في معرفة الارشيف القديم المحفوظ بافلام تمت حمايتها من التلف، وفي حفظ الوثائق والمعلومات التي تخص الموظفين والوزارة.. لم يتم شراؤه لحد الآن..

احد موظفي ديوان وزارة التربية (والذي طلب عدم ذكر اسمه) قال: ان اجهزة كثيرة وصلت إلى ديوان وزارة التربية، بناء على طلب لجان المشتريات، باستثناء جهاز المايكروفيلم... والامر يعود إلى اسباب عديدة اهمها.. ان الجهاز لا يمكن الاستفادة منه لصالح فلان او فلان، انما فائدته تنصب على المصلحة العامة.. والسبب الآخر يعود إلى حدوث تزوير في اوراق الموظفين بعد سقوط النظام السابق، حيث اصبح البعض يحمل شهادة جامعية وهو غير حاصل على الثانوية، والبعض الذي يحمل شهادة ابتدائية صار خريجاً للدراسة الاعدادية وهكذا، والبيانات الاصلية محفوظة في اشرطة المايكروفيلم، وعند مجيء الجهاز سيعني النبش في المستور.. وهنالك سبب آخر وهو عدم رغبة البعض في عودة المفصولين السياسيين الذين لا يملكون اوراقاً ثبوتية تشير إلى انتسابهم إلى وزارة التربية بعد حرق جميع الاوليات، باستثناء افلام المايكروفيلم، وعندما يطالب هؤلاء بتثبيت حقهم من خلال عرض افلام المايكروفيلم، يتحجج الآخرون بعدم وجود الجهاز.

في شعبة (المايكروفيلم)

بعد وصولنا إلى شعبة المايكروفيلم تبين لنا ان الشعبة هي عبارة عن غرفة تحتوي على بعض الرفوف الفارغة، ومنضدتين، احداهما يفترشها طفل في الثالثة من العمر وفي يده بعض من الحلويات، والاخرى انتشرت على سطحها قشور الفستق (والكرزات) الاخرى مع بعض من اغلفة الحلويات.. تفاجأت الموظفتان اللتان تشغلان المكان، بوجودنا وكأنه امر غريب ان يصل احد ما إلى هذا المكان الواقع في الطابق الثاني من ديوان وزارة التربية..

وبعد القاء التحية تساءلنا عن طبيعة عمل الموظفين في هذه الشعبة بغياب جهاز المايكروفيلم، فردت احداهن بعد ان حملت الطفل من على الطاولة، قائلة: نحن ننتظر مجيء جهاز المايكروفيلم، والذي علينا هو الكتابة، وقد كتبنا ولم تتم الاستجابة، وقد طالبنا بجهاز وان كان قديماً، فرفضوا وقالوا سنأتي بجهاز جديد.

وفيما يخص معرفة ارشيف الموظفين، فان الامر يعتمد على العلاقات مع الموظفين الآخرين.. فهم الذين يزكون فلاناً الذي يدعي انه يحمل شهادة ما أو خدمة ما.. ثم اردفت قائلة ان السيد المدير شكل لجنة من داخل ديوان الوزارة وتمت دراسة الموضوع لمعرفة فوائد جلب جهاز جديد من عدمه، حيث ان البعض يعتقد ان الحاسبة حلت محل هذا الجهاز في ارشفة الوثائق واحياناً يقولون اننا سنقوم بجلب منظومة كاملة.. ولا نعرف إلى اين وصل الامر!

في بابل .. اكثر العابثين بالبيئة هي دوائر الدولة

بابل / مكتب المدى

ان حماية البيئة مسؤولية الجميع افراداً وجماعات بعد ان وصل التلوث البيئي حدا لا يمكن السكوت عليه واصبح الاهتمام بالمشاكل البيئية مهمة ليس بالسهلة.

وهي مهمة يجب ان تأخذ ابعاداً اعلامية وتدخلات من منظمات المجتمع المدني والجهات السياسية والاجتماعية في العراق.

الان حياتنا واجواؤنا ... ارضنا ومياهنا كلها تستغيث وكان لـ (المدى) زيارة لمديرية بيئة بابل والتقت المهندس باقر رضا الذي قال : نحن نعمل بصمت وجد واخلاص ولقد تم خلال الاشهر الماضية توجيه العشرات من الانذارات للعديد من المستشفيات الحكومية والاهلية منها معمل النشا والدكسترين التابع الى منشأة الفرات العامة وفرضت عليه غرامة مقدارها مليون دينار وكذلك انذرنا مستشفى الاسكندرية والعشرات من الكراجات التي تقوم بالغسل والتشحيم وكذلك معامل الدبس والحمامات والمطاعم والعمارات ومعمل المشروبات الغازية في الحلة والشركة العامة للصناعات النسيجية في الحلة وكذلك معمل حرير السدة، هذه مسؤوليتنا الاخلاقية.

عن مجزرة الحلة قال : ان اغلب مجازر محافظة بابل غير متوفرة فيها الشروط الصحية، ومنها مجزرة الحلة للاسباب التالية : -

انها في موقع لم تتوفر فيه الشروط الصحية والبيئية بسبب قربها الى شط الحلة ورمي فضلات المجزرة في الشط مباشرة، كما ان موقعها داخل التصميم الاساسي لمدينة الحلة، ولعدم وجود الشروط الخاصة بالمجازر.

وماذا عن اماكن الطمر الصحي التي حددت دائرتكم شروطها؟ اجاب : لقد حددت دائرة البيئة شروط الطمر الصحي في المحافظة بالاتفاق مع البلديات ولكن للاسف لم يتم الالتزام بها، وما زالت ترمى عشوائياً في المحافظة.

وعن شط الحلة رئة المدينة قال مدير بيئة المحافظة: نحن نتابع وبصورة مستمرة وبفحوصات كيمياوية وفيزياوية ومن نقطتين للرصد والمراقبة الوضع البيئي في شط الحلة وتم توجيه انذارات الى البلدية بسبب رمي الاوساخ داخل الشط، مما يسبب تلوث المياه فيه، (وعلمت المدى ان مجلس محافظة بابل ناقش موضوع شط الحلة واوعز للجهات ذات العلاقة بالعمل على وضع حد لرمي مثل هذه النفايات داخل وعلى ضفاف الشط لما يسببه من تلوث بيئي وخلق حالة غير جمالية لمنظر الشط).

واما بخصوص ساقية الاطباء والمختبرات والتي ترمي نفاياتها مباشرة الى شط الحلة قال المهندس باقر :

لقد تم توجيه رسالتين بيئيتين الى نقابتي الاطباء والصيدلانيين بخصوص هذه الساقية الموبؤة حيث ترمى النفايات والمياه العائدة للمختبرات والاطباء مباشرة الى شط الحلة وقد قامت بلدية الحلة مشكورة بوضع حاوية متحركة امام العيادات للحد من هذه الظاهرة ومنعنا اصحاب العيادات من رمي المياه الخاصة بهم في شط الحلة عن طريق هذه الساقية.

وعن كور الطابوق التي انتشرت بعد سقوط النظام قال : لقد تم التنسيق مع رؤساء الوحدات الادارية في الاقضية والنواحي بخصوص هذا الموضوع وتم الاتفاق مع دائرة زراعة بابل لمعرفة ارقام واسماء شاغلي القطع التي بنيت فيها هذه الكور.وقد تم احضارهم امام رؤساء الوحدات الادارية واخذ تعهدات منهم بعدم القيام ببناء الكور نظراً لما تسببه من امراض سرطانية ناتجة عن الدخان الاسود الذي يحمل الكربون المترسب على الاشجار والمزروعات والدور السكنية.

❖ هل هناك اهتمامات للبيئة مثل زراعة وتشجير الاراضي؟

نعم قامت الدائرة بتشجير شارع اربعين وشارع الجمعية والساحات والتقاطعات الرئيسة في المحافظة وكذلك قامت الدائرة بتأهيل مدرسة الرسول الابتدائية واعادة زرع الحديقة المدرسية التابعة لها والاهتمام بالمرافق الصحية فيها وانشاء ملاعب واماكن مخصصة للنفايات وستقوم في العام القادم وضمن خطة وزارة البيئة بحملة واسعة لتشجير اغلب مدارس المحافظة بالاشجار والاوراد.

واضاف لقد قررت وزارة البيئة اصدار (باج) خاص لاصدقائها من تلاميذ المدارس الابتدائية سيوزع عليهم في السنة القادمة، حيث يوجد في كل مدرسة اصدقاء للبيئة تقوم بتزويدهم بالشعارات والكراريس الخاصة بالبيئة.

وقال : ان مشروعاً كبيراً سينفذ حال اكتمال الاجراءات القانونية والمالية وهو عبارة عن متنزه كبير تتوفر فيه كل وسائل الراحة الموجودة في الحدائق والمتنزهات العالمية وخصصت له الارض المقابلة لمعمل نسيج الحلة.